النداء الإيجابي الروحي في خطاب الإمام سعيد النورسي- آفاق منهجية جديدة لتحقيق الإصلاح والتجديد

The positive spiritual appeal in the speech of Imam Said Nursi- New methodological horizons for achieving reform and renewal

رباحي مصطفى *

جامعة غرداية ، الجزائر، rabahigood@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/12/12 تاريخ القبول: 2021/01/09 تاريخ: النشر: 2021/01/20

الملخص:

تقوم فكرة البحث على إبراز قيمة الإيجابية كأداة من الأدوات المحورية في منهج النورسي يستخدمها في ندائه الإيماني وخطابه الروحي لتوجيه الانسان وإرشاده إلى طريق الهداية والاستقامة وشحنه بالايمان الحقيقي والرقي به في سلم الأخلاق والقيم وتقديم الوصفات العلاجية تربطه بالخالق والذات والكون والحياة في أفق إصلاح الواقع بمختلف تجلياته الاجتماعية والفكرية والسياسية.

الكلمات المفتاحية: النداء الايجابي، الإصلاح، التجديد.

Abstract:

The research idea is based on highlighting the value of positivity as one of the pivotal tools in the Nursi's methode that it uses in his faith call and spiritual discourse to guide man to the path of guidance and righteousness, charging him with true faith and advancing him in the ladder of morals and values, and providing remedial prescriptions linking him to the Creator, the self, the universe and life in the

* المؤلف المرسل

horizon of reforming reality in its various manifestations Social, intellectual and political.

Keywords: Positive appeal; Reform; Renewal.

مقدمة:

يتحدد مفهوم النداء الإيجابي في رسائل النور في قول الأستاذ النورسي"...فهناك من الحوادث التي يبدو في ظاهر أمرها قبيحا مضربا ومشوشا،إلا أن تحت ذلك الستار الظاهري أنواعا من جمال رائق ،وأنماطا من نظم دقيقية"(1) هذه مقولة من المقولات العديدة في الرسائل الملفوفة بالروح الإيجابية التي أكيد تقودنا إلى العمل الإيجابي النابع من الإيمان الحقيقي لإصلاح الفرد والمجتمع .فالنداء الإيجابي هو عملية تحويل وتصحيح المفاهيم الخاطئة المشوهة إلى مفاهيم نافعة وفاعلة في حياة الإنسان تقوده إلى حقيقة الإيمان.

لقد سطر الأستاذ النورسي منهجية مقتبسة من القرءان الكريم منهجية تبسط منطقا إيجابيا جديدا يرفع المؤمنين من مقام الإهانة والحزن إلى مقام الاستعلاء الإيماني المتسامي " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مومنين " آل عمران 139 ،هذه الآية الكريمة هي دليل حي يؤصل للإيجابية في الرسائل كقيمة محورية ومعيار مهم يجب أن ترتكز عليه رؤية الإنسان إلى الكون والحياة وهي مرآة أيضا تعكس منهج النورسي في إبراز قدرته على تغيير مسار المفاهيم وشحنها دائما بالبعد الإيجابي وندائه الحثيث على النظر إلى الكون والحياة بهذه النظرة الإيجابية لتنسكب على القلب والجوارح فتعمل في سبيل تحقيق الإيمان والارتباط بالخالق وفهم الذات والآخر وحل المشكلات والمآسي .

ولمعالجة هذا الموضوع طرحنا السؤال التالي : هل النداءات والخطابات والمفاهيم الإيجابية في رسائل النور لها دور مهم في تحقيق العمل الإيجابي لبناء عالم إنساني تعاوني أفضل وممارسة حياة إيمانية فاعلة ؟

1. النورسي الرجل الإيجابي في زمن المآسي :

أدركت أوربا حقيقة الإسلام الذي صرخ في وجهها وحد من امتدادها الفكري والجغرافي ولذلك فهي لم تدخر وسيلة لمحاربة الإسلام والقضاء عليه وإبعاد القرءان الكريم عن حياة المسلمين وتشكيكهم في دينهم الحنيف وهذا ما نادى به السياسي الكبير " غلادستون" قائلا " مادام هذا القرءان بيد المسلمين فلن نستطيع ان نحكمهم ،لذلك لابد من إزالة القرءان من الوجود وقطع صلة المسلمين به " [2] ،وعلى هذا فإن أخطر مسألة سعى لها الغرب هو إفقاد وإفراغ الإيمان من قلوب المؤمنين وبذلك يضربون الإسلام والمسلمين الضربة القاتلة بعد أن نجحوا في تمزيق المسلمين وتفكيك وحدتهم ، وفي هذا الزمن بالذات زمن المآسي يطل علينا الرجل الإيجابي الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في الفترة (1873م-1960م) يحدد مكامن المرض ويوقف سعي الغرب لتحقيق أهدافهم ،ويوقف مسلسل الهزائم بخطابه وندائه الإيجابي بإثبات التوحيد والنبوة والحشر والعدالة الإلهية كنوع من الدفاع والاستعداد للهجوم ضد مخططات الغرب بهذا النداء الإيجابي القرءاني ، نداء مميز يجمع بين الحقيقة العلمية والاستقراء المنطقي والشمول والشاعرية الخصبة الرقيقة ومنهجية غاية في القوة والوضوح والرصانة مبتعدا في نفس الوقت عن قيود المصطلحات الكلامية وجمود المقدمات الفلسفية ،بل حول نداءه وخطابه هذا إلى تيار اجتماعي عارم يلائم مختلف المستويات الثقافية والفكرية وليست قاصرة على طلاب العلوم الفلسفية وحدهم .

لم يكن للأستاذ أي وقت فراغ طول حياته فهو إما يقرأ أو يصحح أو يقرأ له وهو يستمع ، لايصرف وقته سدى قط ، فلا تراه إلا قائما يصلي أو داعيا متضرعا أو مسبحا ذاكرا ،أو متأملا في ملكوت السماوات والأرض ، فهو حتما منشغل بشغل يهمه ، يقول عن نفسه " إن همتي وغيرتي لاتسمحان لي بالقعود ...ولو عرف الإنسان مافي الغيرة والهمة من خير لما خلد إلى الراحة ،ولما فاتته دقيقة واحدة فارغة ،حقا لقد كانت حياته كلها عملا "[3] ، كانت عملا إيجابيا في الزمن المعادي والمحبط إنها سنوات العشرينات والثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي ،تلخص هذا العمل الإيجابي في كتابة ونشر الرسائل في الجبال والأرياف وإملاء الرسائل ونسخها يدويا وهو مشروع يتطلب الشجاعة والتضحية من تلاميذه الذين تعرضوا للاعتقال والسجن والاضطهاد من

قبل السلطات ، ولذلك كان الأستاذ يشجع التلاميذ باستمرار بندائه الإيجابي في زمن المآسي على هذا العمل الإيجابي الحثيث لنشر أنوار الإيمان "مذكرا إياهم بالحديث النبوي "يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء "[(4)] مؤكدا على الأهمية القصوى لهذا العمل الإيجابي الذي ينبغي أن لا يشغلهم عنه أي قضايا أخرى. هذا الرجل الإيجابي الذي سعى إلى أن تتسلح حركته التي كانت تنمو ببطء بخاصية إيجابية متميزة وهي تكوين الشخصية المعنوية والتي حرص أن يتمثل بها ليكون قدوة لتلاميذه ونادى وخاطب طلابه بالتمتع بهذه الشخصية المعنوية ،فعد نفسه واحدا منهم ،ونادى بالإخلاص والتضحية في سبيل الجماعة أو " الشخص المعنوي " ، فالأستاذ يرى العمل الإيجابي لمواجهة زمن "أنا" الأنانية القاتلة وزمن الكفر والضلال هو الشخص المعنوى الذي واجبه العمل الإيجابي وليس السلبي يقول الإمام النورسي (الرجل الإيجابي) " إن واجبنا العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي ومهمتنا القيام بخدمة الإيمان ضمن نطاق الرضى الإلهي.. . إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقيد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار"[(5)]. يحصر الأستاذ العمل إلإيجابي البناء الناجح في تسع أمور :

1) نابع من المحبة للمسلك .
2) يتمسك بروابط الوحدة.
3) لايتدخل في مسالك الآخرين .
4) يتفق مع أهل الحق .
5) يتطلب شخص معنوي لأجل .
6) إنقاذ الحق من صولة الباطل .
7) ترك غرور النفس وحظوظها .
8) الإعتراف بالإثم و الخطاء .
9) ترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس .

كان هدف الرجل الإيجابي (الأستاذ النورسي) الذي سعى إليه هو إعادة بناء الحضارة الإسلامية (حضارة الإيمان والأخلاق) والتي هي جوهر قضيته ،ففي رأيه أن الإسلام هو المصدر الحقيقي للعمل الإيجابي ،ويرى أنه لاتتحقق السعادة والإيجابية إلا في الإطار الإسلامي، فالبشرية كلها لايمكن أن تجد الخلاص والسلام إلا في حضن الإسلام.

2. " أنا " الإيجابية في رسائل النور :

في تفسير الآية الكريمة " إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا "الأحزاب 72 يستخدم منهجه ونداءه الإيجابي حيث يطلعنا على مفهوم جديد وفريد (لأنا) فأغلب المفسرين راعوا في تفسيرهم لكلمة الأمانة الواردة في نص الآية للجانب العملي التكليفي[(6)] ، أما النورسي فقد وقف في تفسيره للأمانة عند الذي لاكمال للإنسان إلا به ، فالأمانة كما يقول " التي أبت السموات والأرض والجبال هي (أنا) أو الأنانية التي أهلت الإنسان لتلقي الخطاب الإلهي ليكتمل بهذه الأمانة معنى الإنسان خليفة الله في أرضه ،وهو معنى لازم لاينفك عن الإنسان ،به نال الشرف والفضل على غيره من العالمين . و قد علق بأذهان أغلبنا صورة الأنانية (الأنا) المرادفة ل(Ego) التي هي تعبير عن النفس الباطنة بينما النورسي يعتبرها تعبير عن النفس الواعية لذاتها [(7)] ويرى أن لحركة (أنا) وجهتين :

وجهة سلبية تتطلع إلى حقائق الفلسفة التي تصور له مالكية الأشياء بحكم الملك لا التملك (والتي عصت الدين واتخذت صورة شجرة الزقوم خبيثة تنشر ظلمات الشرك وتنشر الضلالة حولها) [(8)]، بينما يطلعنا الأستاذ النورسي كعادته في نداءه الإيجابي على الوجهة الإيجابية للأنانية التي تتطلع فيها على حقائق النبوة التي تصور له مالكيته للأشياء بحكم التملك لا الملك وهي شجرة طوبى العبودية لله [(9)]، وأن غاية وجوده طاعة الله والانقياد لأوامره ، وهذا المفهوم الإيجابي للأنانية عند النورسي يمكن الإنسان أن يتصرف في كل ما استخلفه الله تعالى فيه تصرف المتملك المطيع من جهة ومن جهة أخرى بهذا المفهوم الإيجابي تفتح له مغاليق الكون وأسرار الوجود (إن "أنا" مفتاح بفتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى ،كما يفتح مغاليق الكون......... فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحا يفتح كل الأبواب وطلسما يفتح به

الكنوز المخفية لخلاق الكون)[10] ، فالأنانية الإيجابية هي المقياس التي الذي يتصور به الربوبية الموهومة والمالكية المفترضة التي تقوده إلى الإيمان الحقيقي كما يقول الأستاذ " أي يكون"أنا" وحدة قياسية تعرف بها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية ،ومن المعلوم أنه لا يلزم أن يكون للوحدة القياسية وجود حقيقي ،بل يمكن أن تركب وحدة قياسية بالفرض والخيال كالخطوط الافتراضية في علم الهندسة)[11] ويفهم من خلال مقياس ربوبيته الموهومة الإيجابية التي يتصورها في دائرة ملكه ربوبية خالقه المطلقة سبحانه وتعالى في دائرة الممكنات ويدرك بمالكيته الظاهرية ،مالكية خالقه الحقيقية فيقول : كما أنني مالك لهذا البيت فالخالق سبحانه كذلك مالك لهذا الكون .... ويعلم بعلمه الجزئي علم الله المطلق.... ويعرف بمهارته المكتسبة الجزئية بدائع الصانع الجليل فيقول مثلا كما أنني شيدت هذه الدار ونظمتها ، كذلك لابد من منشئ لدار الدنيا ومنظم لها .

فالذي يعرف ماهية " أنا "بهذا الوجه ،وعرف أنها الأصل في علاقته بالله وأقر بذلك أقام عزيزا مكرما في مقام العبودية ،فيدخل كما يقول الأستاذ النورسي ضمن بشارة قوله تعالى (قد افلح من زكاها) الشمس 09 ،لأنه يكون عندها قد أدى الأمانة حقها ، فيرى بمنظار " أنا "حدود دوره ووظيفته ،ولكن إذا وقف في حدود تلك التصورات المتوهمة ،ولازمه ذلك الشعور الكاذب فيدخل بلا أدنى شك ضمن النذير الإلهي (وقد خاب من دساها) الشمس10 ، لأنه يكون في هذه الحالة قد خان الأمانة المودعة فيه ،فتنمو فيه ربوبية موهومة السلبية إلى أن ينتهي به الحال أن يصير شريكا لله في الوجود .

وصدق النورسي عندما فسر إشفاق السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة ،بأنه خوف ورهبة من الشرك المفترض ،ومن تلك الربوبية المتوهمة والتي يمكن أن يتردى إليها كل من يجهل أصول العلاقة بين الله تعالى وبين الإنسان .

3. الإيجابية في عالم الحياة والإيمان (من الفناء والخلود)

مالعلاقة بين الحياة والإيمان ؟ يجيبك الأستاذ كعادته بنداءه الإيجابي لتحديد هذه العلاقة ،وتبرز قدرته على تغيير تصورنا للحياة وشحن هذا التصور دائما بالبعد الإيماني الإيجابي وندائه

المتواصل على النظر إلى الحياة بالنظرة الإيجابية لتنسكب على القلب والجوارح فتعمل في سبيل تحويل حياته من الفناء والزوال إلى الخلود في الجنة إن شاء الله ،الحياة الحقيقية هي التي تقود صاحبها إلى الخلود إذا استثمرها في الإيمان والعبودية الخالصة لله عز وجل ،هذه هي المعادلة العامة التي ينادي بها الإمام النورسي : الحياة + الإيمان = الخلود / الحياة + الكفر= الفناء .

إن الحياة الإيجابية في نظر الإمام النورسي هي التي تمتد بأصحابها إلى عالم الخلود ،فالخلود هو أقوى غريزة عند الإنسان مع غريزة الملك ،ولهذا ابليس الملعون استطاع أن يعزف على هذين الوتريين (وتر الخلد ووتر الملك) لإغراء وإغواء سيدنا آدم عليه السلام للأكل من الشجرة (قال يا ءادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) الأنبياء 120 . ولذلك الإنسان الذي يغفل عن الإيمان وينشغل بأدوات الكفر والفناء والزوال على حساب أدوات الخلود والبقاء فهو إنسان ميت ليس بحي ، فهو حقيقة عمر دنياه لكن خرب مآله ومثواه ،وفي هذا الصدد يأتي نداء الإمام النورسي الإيجابي فيحول المعنى السلبي والمخيف والرهيب والفاني للحياة إلى المعنى الإيجابي الآمن والمريح والخالد " أيها الناس أتريدون تحويل حياتكم الفانية القصيرة إلى حياة باقية طويلة مديدة خالدة بل مثمرة بالمنافع والمغانم ،فاصرفوا إذا حياتكم في سبيل الله الباقي لأن أي شيء يتوجه إلى الباقي ينال تجليا من تجلياته الباقية "(12) ، ويقول في موضع آخر (فالإنسان الذي تاه في كثرة المخلوقات وغرق في الكائنات وأخذ حب الدنيا حتى غره تبسم الغانيات وسقط في أحضانها ،لا شك أن هذا الإنسان يخسر خسرانا مبينا إذ يقع في الضلالة والفناء والعدم أي يعدم نفسه معنى ، ولكن إذا رفع الإنسان رأسه واستمع بقلب شهيد لدروس الإيمان من لسان القرءان وتوجه إلى الحدانية فإنه يستطيع أن يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمالات والفضائل فيغدوا إنسانا باقيا"(13) ،وفي سطور أخرى قليلة يصف لنا معاناة الحياة السلبية للإنسان الكافر باليوم الآخر وكيف تتحول هذه الحياة من المعاناة والشقاوة إلى سعادة وراحة بفضل الإيمان في أسلوب ونداء وخطاب له دور مهم في ممارسة حياة إيمانية فاعلة (واعلم أن كل الألم في الكفر،وكل اللذة في الإيمان .... فبالله عليك كيف ذلك الشخص إن لم يعتقد باليوم الآخر فلا شك أن حالته مركبة من الخوف والهيبة والعجز والرعشة والقلق والوحشة واليتم واليأس لأنه إذا راجع قدرته يراها عاجزة ضعيفة وإذا توجه إلى تسكيت حاجاته رآها لاتسكت ...يظن كل شيء عدوا له ويتخيل كل

شيء غريبا فلا يستأنس بشيء ولا ينظر إلى الأجرام إلا بنظر الخوف والدهشة والتوحش المزعجة للروح والوجدان ، ثم تأمل في حال ذلك الشخص المؤمن الذي يسير على الصراط المستقيم بنور الإيمان واليقين ، كيف ترى إذا وضع قدمه في الدنيا وفتح عينيه فرأى هجوم الأعادي الخارجية عليه فيقابلها بنقطة الاستناد وهي معرفة الله الصانع فيستريح)[14] وهكذا تتحول الحياة بفضل الإيمان بأسلوب ونداء النورسي الإيجابي إلى حياة مريحة صديقة بعدما كان يتصورها الغافل حياة مخيفة عدوة ترمي به في مكان سحيق زائل .

وأعظم نداء للنورسي هو تصوير الموت لنا وسيلة أو بوابة للخلود عندما ضرب لنا مثلا بتلك العجوز التي كانت تشاهد طفلها الوحيد الذي تحبه حبا خالصا وهو على فراش الموت يتخبط في السكرات ،يذهب فكرها مباشرة إلى افتراشه لتراب القبر بدل فراشه الناعم الوثيرلما تتصور الموت عدما وفراقا أبديا ،وتوهمها الخلود في الدنيا نتيجة الغفلة والضلالة ،لذا لا يخطر على بالها رحمة الرحمان الرحيم ولا جنته ولا نعمة فردوسه المقيم ، فأنت تستطيع أن تقيس من هذا مدى مايعانيه أهل الضلالة والغفلة من حزن وألم ويأس بينما الإيمان والإسلام فهما وسيلتان لسعادة الدارين يقولان للمؤمن أن هذا الطفل الذي يعاني ما يعاني من سكرات الموت سيرسله خالقه الرحيم لى قدس جنته بعدما يخرجه من هذه الدنيا القذرة زد على ذلك سيكون لك مشفعا كما سيجعله لك أيضا ولدا أبديا فلا تقلق ولا تغتم فالفراق مؤقت ،واصبر قائلا : فالحكم لله "[15] .

4. قضية الخير والشر (القبح الإيجابي الجميل) :

يردد النورسي خطابه الإيجابي كعادته عندما يكشف عن طبيعة العلاقة بين الشر والخير يحول المفهوم السلبي لوجود الشرور والمصائب والشيطان وغيرها من البلايا إلى مفهوم إيجابي حيث يعتبر الشرور بنسبة إضافية وليست حقيقية وتنطوي على خير كثير وفي هذا المعنى يشير بقوله " إن خلق الشرور والأضرار والبلايا والشياطين ليس شرا ولا قبحا لأن هذه الأمور خلقت للحصول على نتائج مهمة كثيرة " [16] وفي عبارة أخرى يشير إلى أن " شرا قليلا يقبل به للحصول على خير كثير ،إذ لو ترك شر ينتج خيرا كثيرا ،للحيلولة دون الحصول ذلك الشر القليل للحصول ، لحصل عندئذ شر كثير "[17] ،فإيجابية النداء عند النورسي هو عدم وجود الشر إلا وفي ضمنه خير

كثير،فلو رفع ذلك الشر لبطل الخير المتضمن في ذلك الشر،ويوضح النورسي ذلك بمثال وهو"قطع الأصبع التي أصابها الموات (الغنغرينا) فيه خير كثير وهو حسن ،بينما يبدو ذلك القطع في ذلك القطع في الظاهر شر ولكن ،ولكن لو لم تقطع تلك الأصبع لقطعت اليد فيحصل أنذاك شر أكبر"[18] ،وهو تقريبا نفس المفهوم الذي عرضه علينا الإمام الغزالي بخصوص بيانه لإرادة الخير المطلوبة لذاتها وإرادة الله للشر المراد لغيره والأصل أن المراد لذاته قبل المراد لغيره وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى(رحمتي سبقت غضبي) متفق عليه ،فأراد الله الخير للخير ذاته ،وأراد الشر لا لذاته ولكن لما في ضمن ذلك الشر من خير "[19] ،فالشر عند النورسي في ضمنه الخير والقبح في ضمنه الجمال والسلبية في ضمنها الإيجابية ،من المفروض الله تعالى مالك الملك يفعل ما يشاء في ملكه (لايسأل عما يفعل وهم يسألون) الأنبياء 23 ،يفعل عز وجل مايشاء من شر وخير وبلايا ومصائب في ملكه ،هذا التسليم قد لا يقبل به البعض لكن النورسي كعادته يسعى بخطابه وندائه الإيجابي الذي يجرى في غاية الحسن والسداد والإيجابية فهو لا يحصر ضرورة وجود القبائح أنها فعل المشيئة الإلهية المطلقة أو أنها جزء من النظام الكوني فقط ،بل يواصل الأستاذ نداءه وخطابه الإيجابي بشحن مفهوم القبح والشر بالمفاهيم الإيجابية التالية :

1- ضرورة وجود القبح لإظهار الخير والجمال .

2- الإحساس بالخير والجمال مرهون بوجود الشر والقبح .

3- الشدائد والمصائب ضرورية لتكامل الإنسان .

أولا : وجودها ضروري لإظهار الجمال فلولا المقارنة بين القبح والحسن لما فرقنا بين القبح والجمال ونداءه يدل على ذلك " إن قبحا يكون سببا لإنتاج أنواع من الجمال أو سببا لإظهاره فهو قبح جميل ،وإن انعدام قبح يؤدي إلى إخفاء كثير من الجمال ، بمعنى أن إيجاد القبح ليس قبيحا بل جميل لأن كثيرا من النتائج المتولدة منه جميلة "(20)

ثانيا : إحساس الناس بالجمال وفهم الخير مرهون بوجود قبائح في مقابل الخير والجمال فكما تظهر درجات الحرارة بتداخل البرودة والضوء بوجود الظلام تظهر الخيرات والمنافع الكلية بوجود

الشرور والأضرار الجزئية، ومشاهدة القبائح هو الذي يدفع الناس باتجاه المحاسن والإنجذاب إليها والإعراض عن القبائح ، يقول الأستاذ النورسي " تقابل الخير والشر في هذا الكون هو لحكمة كبرى ، لأن ما لم يكن هناك الشر فلا يفهم الخير "(21) ، ومن دون شك أن الفهم هو بداية الإحساس والشعور بالخير وقد قال الإمام الغزالي " لولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة ......ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنسان "(22)..

ثالثا : لولا المحن والشدة والعسر تكامل الإنسان قال الله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) البلد 04 ، ومن هنا جاء العلامة النورسي يغير مفهوم شكوى الإنسان السلبية على وجود المصائب والبلايا وغيرها من الشدائد والمشاق إلى مفهوم إيجابي ما دامت تلك المصائب مربية للفرد وموقظة للمجتمعات ،فهي توقظ الغافلين وتثير العزائم والهمم ،وتصقل الإرادة وتقويها ولقد صرح بذلك الأستاذ النورسي في اللمعات فقال " إن الحياة تتصف بالمصائب والبلايا ،وتتزكى بالأمراض والنوائب ،وتجد بها الكمال وتتقوى وتترقى وتسمو وتثمر وتنتج وتتكامل وتبلغ هدفها المراد لها فتؤدي مهمتها الحياتية ،أما الحياة الرتيبة التي تمضي على نسق واحد ،وتمر على فراش الراحة ، فهي أقرب إلى العدم الذي هو شر محض منه إلى الوجود الذي هو خير محض ،بل هي تفضي إلى العدم " (23) وعليه فتحمل المشاق والمصائب والشدائد حسب النورسي تقود الإنسان إلى كمال وجوده اللائق به ،والصراع والتعب هو بمثابة الصفعة الإيجابية أو السوط الإيجابي الذي يسوق الإنسان إلى التكامل والبناء .

5. الموقف الإيجابي للقومية في رسائل النور(التقارب لا التفارق) :

يعالج النورسي موضوع القومية معالجة إيجابية كما هو شأنه أغلب الموضوعات إذ يحاول في نداءه وخطابه بخصوص القومية إلفافها بالمعنى الإيجابي فبعد افتتاح الموضوع بقوله تعالى (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر أو انثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)الحجرات 13 يلخص بداية جوهر المسألة بنداءه الإيجابي الفاعل أي خلقناكم وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية ،لتتعارفوا فيما بينكم ،ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا ، ثم شرع في التحليل الإيجابي للموضوع :

– شبه النورسي المجتمع الإسلامي بالجيش العظيم فقد قسم إلى قبائل وشعوب مع أن مايجمعهم أثر بكثير من ما يفرقهم فخالقهم واحد ورازقهم واحد ورسولهم واحد وقبلتهم واحدة وكتابهم واحد ووطنهم واحد[24].....وكل هذه العناصر الموحدة تفضي إلى المعاني الإيجابية (الأخوة والمحبة) ، فليس الإنقسام كما تقرره الآية الكريمة إلا للتعارف والتعاون .

– ينتقد الأستاذ النورسي الفكر القومي السلبي الذي أثاره الأوربيون بهدف تشتيت وحدة المسلمين وتمزيقهم وابتلاعهم ، ولكن كعادته يحول الأستاذ النورسي المفهوم السلبي للقومية إلى مفهوم مشحون بالإيجابية وذلك بعدم مواجهة المشتغلين بالحياة الاجتماعية بدعوتهم لترك القومية وذلك لما لها من ذوق ولذة نفسية تغفل الإنسان عن الحقيقة التي أقرها القرءان الكريم من وراء هذه القومية وهي التعارف والتعاون لا العداوة والخصام ،بل واجههم ببيان نتائج هذه القومية السلبية المؤدية إلى الخصام والنزاع والحروب والدماء وضرب أمثلة على ذلك في العصر الأموي ،والأثار التي خلفتها الحروب العالمية والجمعيات التي تخدم المصالح الأجنبية [25] .

– وبعد هذا الانتقاد ينتقل بنا مباشرة بندائه الإيجابي إلى ماهية القومية الإيجابية التي هي نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية[26] ،وهي سبب للتعاون والتساند وتحقق نافعة للمجتمع ،وهي وسيل لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية ،هذا الفكر الإيجابي القومي ينبغي أن يكون خادما للإسلام وان يكون قلعة حصينة له وسورا منيعا حوله ولايمكن ان يحل محل الإسلام ولا بديلا عنه بل الأخوة القومية ماهي إلا ستارا من أستار الأخوة الإسلامية .

– ينبه النورسي الأتراك [27] في هذا المقام أن قوميتهم امتزجت بالإسلام امتزاجا قويا ،فإذا ما حاولوا الابتعاد عنه فقد ابتعدوا عن عزتهم ومجدهم وعظمتهم وكل ما حققوه من عظمة ومجد في التاريخ كان بفضل الإسلام

– يحدر النورسي من تقليد أوربا العنصرية[28] التي عوضت الفلسفة بالدين ،وأثار تعصبها الديني نزاعات داخلية دامت ثلاثة قرون ،إذ إن الحكام اتخذوا الدين وسيلة لسحق العوام والفقراء وأهل الفكر والعلم فنمى في نفوس هؤلاء الكراهية والحقد على الدين ، بينما الإسلام لم يكن

كذلك أبدا فهو لم يكن سببا للنزاع الداخلي ،ويشهد التاريخ أنه منذ التزم المسلمون بدينهم برحوا رقيا عظيما ومتى أهملوه تراجعوا وتخلفوا . فهو ليس عدوا للفقراء والعوام بل هو حاميهم بفرض الزكاة وتحريم الربا .

6. أسس النور من (–) إلى (+) .

حاول الأستاذ النورسي تعريف المجتمع الإنساني بالوجه الحقيقي للأسس السلبية التي ترتكز عليها المدنية الغربية وتوجيه القارئ إلى الأسس الإيجابية للمدنية الإسلامية فمن خلال الجدول التالي نفهم وجه الاختلاف بين المدنتين وكيف وظف الأستاذ النورسي خطابه ونداءه الإيجابي لتقديم البدائل الحقيقية الموجودة في المنظومة الإسلامية لتحل محل أسس المدنية الغربية .

جدول يوضح الفرق بين الأسس السلبية للمدنية الغربية والأسس الإيجابية النورية للمدنية الإسلامية :

عناصر أسس المدنيات	المدنية الغربية (–)	المدنية الإسلامية (+)
الاستناد	القوة ====>> الظلم	الحق ====>> العدالة
الهدف	المنفعة ==== >> التراحم	الفضيلة ====>> المحبة
دستور الحياة	الصراع====>> التنازع	التعاون====>> الإتحاد
الرابطة بين الأفراد	العنصرية ====>> التصادم	دينية ====>> الأخوة
مقياس الخدمة للبشرية	الهوى ====>> الحيوانية	الهدى===>> الكمال الإنساني

هذا الجدول في الحقيقة عرض مركب لأسس المدنتين والذي جاء عرضه متناثرا في رسائل النور فوردت عدة نصوص تبين الفرق بينهما ،ودعوة الأستاذ إلى تبني الأسس المدنية الإسلامية التي وصفها بأسس مدنية القرءان الكريم التي ينبغي الالتجاء إليها والاحتماء بها في ظل الظروف العالمية

فهي البدائل الحقيقية والوصفات العلاجية لنشر الأمان والسلام والارتقاء إلى كمال الإنسان ففي كتابه الكلمات يقول " إنه لا ميزان في الأرض غير ميزان الشريعة ، إنها رحمة مهداة نزلت من سماء القرءان العظيم ....أما أسس مدنية القرءان الكريم فهي إيجابية تنحصر في خمسة أسس إيجابية وهي : نقطة الحق بدل القوة ومن شأن الحق دائما العدالة والتوازن ومن هنا ينشأ السلام ويزول الشقاء ، وهدفها الفضيلة بدل المنفعة وِشأن الفضيلة المحبة والتقارب ومن هنا تنشأ السعادة وتزول العداوة ، دستورها في الحياة التعاون بدل القتال والخصام وشأن هذا الدستور الإتحاد والتساند اللذان تحيا بهما المجتمعات ، وخدمتها للمجتمع حسب الهدى لا على الأهواء والنوازع ومن شأن الهدى الإرتقاء بالإنسان ورفاهه إلى مايليق به مع تنوير الرزح ومدها بما يلزم ، رابطتها بين المجموعات البشرية هي رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان ، وشأن هذه الرابطة أخوة خالصة وطرد العنصرية وبهذه المدنية يعم السلام الشامل "(29)

وفي كتاب صيقل الإسلام تناول الأستاذ أسس المدنية الإسلامية بصورة أكثر تفصيلا وتوضيحا فيقول عن هذه المدنية الإيجابية هي التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها فهي التي ستظهر بعد انقشاع وزوال أسس المدنية الغربية السلبية ، وستضع أسسا بناءة إيجابية مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية ، نعم إن نقطة استنادها هي الحق بدلا من القوة والحق من شأنه العدالة والتوازن ،وهدغها الفضيلة بدلا من المنفعة والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب ،والرابطة التي تربط بين الجماعات البشرية هي الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلا من العنصرية وهذه من شأنها الأخوة الخالصة والوئام والسلام والذود عن البلاء عند اعتداء الأجانب ،ودستورها في الحياة التعاون بدل الصراع والجدال ،والتعاون من شأنه الإتحاد والتساند ،وتضع الهدى بدلا من الهوى ليكون حاكما على الخدمات التي تقدم إلى البشر ،وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات فهي إذا تحد من النزاعات النفسانية وتطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي "(30)

أما كتاب المكتوبات فقد أوجز فيه الإمام هذه الأسس بصورة مركزة فقال أن المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمر بها فإن نقطة استنادها الحق بدلا من القوة ،والحق من شأنه العدالة والتوازن ،وهدفها الفضيلة بدلا من المنفعة ،والفضيلة من شأنها المودة والتجاذب ،جهة

الوحدة فيها الربطة الدينية والوطنية والصنفية بدلا من العنصرية والقومية وهذه الرابطة من شأنها الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة ،والدفاع فقط عند الإعتداء الخارجي ،دستورها في الحياة التعاون بدلا من الجدال والصراع ،والتعاون من شأنه الإتحاد والتناسد ،وتضع الهدى بدلا من الهوى ،والهدى من شأنه رفع الإنسان روحيا إلى مراقي الكمالات "(31)

هذه من أهم نصوص أسس المدنية المبثوثة في رسائل النور التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية ولقد حرص الإمام النورسي على توضيحها وتبيانها ولفها بالروح الإيجابية التي أكيد تقودنا إلى العمل الإيجابي النابع من الإيمان الحقيقي لإصلاح الفرد والمجتمع ، فنداءه الإيجابي هنا يظهر في تقديم البدائل الإيجابية لأسس المدنية الإسلامية غير الغربية النافعة والفاعلة في حياة الإنسان والتي تقوده إلى حقيقة الإيمان والكمال الإنساني.

خاتمة :

بعد هذه الجولة والإطلالة السريعة والوجيزة على الأسلوب الجميل الإيجابي في نداء وخطاب الأستاذ في رسائل النور ودوره من تحويل المفاهيم وتصحيحها إلى تفعيل الحياة الإيمانية ،فالأستاذ بذاته يصف وظيفته بالمهمة الإيجابية البناءة التي تذوب في الشخصية المعنوية لأجل مواجهة تيار الكفر والإلحاد وإنقاذ الحق من صولة الباطل. وتناولنا أمثلة جادة تبرز هذه الإيجابية في النداء النوري "فأنا" تقرب الإنسان من الله مالك الكون إذا كان يعتقد بربوبيته الموهومة الإيجابية التي تنبهه لمالك الكون إذا ملك شيئا في هذا الكون ، وعن علاقة الإيمان بالحياة فالنورسي نادى الإنسان إلى الانشغال بأدوات الخلود والبقاء لتكتمل حياته بالإيمان وتمتد إلى عالم الخلود ،ويتجلى نداء الإمام النورسي الإيجابي بتحويل المعنى السلبي والمخيف والرهيب والفاني للحياة إلى المعنى الإيجابي الآمن والمريح والخالد .أما قضية الشر تتحول إلى خير لتزداد الثقة واليقين بعدالة الله ويسعى بخطابه وندائه الإيجابي بشحن مفهوم القبح والشر بالمفاهيم الإيجابية فوجود الشر والقبح والشدائد والمصائب ضرورية لإظهار الخير والجمال والإحساس بهما وضرورية لتكامل الإنسان .وبنداءه الإيجابي الفاعل يحول القومية من مفهوم التناكر والتخاصم السلبي إلى المفهوم البناء الإيجابي النابع من القرءان الكريم (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعرفوا) صدق الله العظيم ، وتتعمق

الإيجابية أكثر في إبرازه أسس النور المتعلقة بأسس الحضارة الإسلامية الإيجابية التي سعى الأستاذ لتحقيقها وبناء حضارة الإنسان المؤمن الذي تمتد به الحياة إلى عالم الخلود .

المراجع:

1. بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط6 ، ج1 ، 2011م .

2. حسين عاشور ، الأستاذ سعيد النورسي والدفاع الإستراتيجي من خلال التأمل في الطبيعة، بديع الزمان في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي (إسطنبول 1992م) ، سوزلر للنشر، القاهرة .

3. النورسي ، سيرة ذاتية ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ،ج 09 ،2011م.

4. النورسي ، الملاحق ، دار سوزلر للنشر ، مصر ، ط06 ،ج07 ، 2011م.

5. أنظر: تفسير البيضاوي ، ج(2) / وانظر: لسان العرب لابن منظور مادة (آمن) / أيضا انظر : الإنسان الكامل ج(1) لعبد الكريم الجيلي. / انظر : الله والنفس الإنسانية للشيخ متولي الشعراوي.

6. النورسي ، (أنا) ذات الإنسان وحركات الذرة بين الفلسفة والدين ، مطبعة أوفسيت حسام – بغداد ، 1990م.

7. النورسي ، اللمعات ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج03 ، 2011م .

8. النورسي ، إشارات الإعجاز ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج03 ، 2011م.

9. النورسي ، المكتوبات ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج03 ، 2011م.

10. أبي حامد الغزالي ، المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

11. النورسي ، الشعاعات ، سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط4 ، 2004م .

12. أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ،مطبعة المكتبة العصرية ، بيروت ، 1992م.

13. النورسي ، صيقل الإسلام ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج08 ، 2011م.

الهوامش:

1) بديع الزمان سعيد النورسي ، الكلمات ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط6 ، ج1 ، 2011م ، ص251.

2) حسين عاشور ، الأستاذ سعيد النورسي والدفاع الإستراتيجي من خلال التأمل في الطبيعة ، بديع الزمان في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي (إسطنبول 1992م) ، سوزلر للنشر ، القاهرة ، ص 181.

3) النورسي ، سيرة ذاتية ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ،ج 09 ،2011م ، ص589.

4) النورسي ، الملاحق ، دار سوزلر للنشر ، مصر ، ط06 ،ج07 ، 2011م ،ص 272.

5) النورسي ، الملاحق ، ص400.

6) أنظر: تفسير البيضاوي ، ج(2) ، ص202 / وانظر: لسان العرب لابن منظور مادة (آمن) / أيضا انظر : الإنسان الكامل ج(1) لعبد الكريم الجيلي ص 18. / انظر : الله والنفس الإنسانية للشيخ متولي الشعراوي ص50.

7) النورسي ، (أنا) ذات الإنسان وحركات الذرة بين الفلسفة والدين ، مطبعة أوفسيت حسام – بغداد ، 1990م ، ص17.

8) النورسي ، الكلمات ، ص629.

9) النورسي ، نفس المرجع ، ص 629.

10) النورسي ، نفس المرجع ، ص625

11) النورسي ، نفس المرجع، ص625.

12) النورسي ، اللمعات ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج03 ، 2011م ، ص24-25.

13) النورسي ، الكلمات ، ص417.

14) النورسي ، إشارات الإعجاز ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج03 ، 2011م ، ص35.

15) النورسي ، المكتوبات ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج03 ، 2011م ، ص102-103.

16) النورسي ، نفس المرجع ، ص54.

17) النورسي ، نفس المرجع ، ص54.

18) النورسي ، نفس المرجع ، ص54.

19) أبي حامد الغزالي ، المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص43-44.

20) النورسي ، الشعاعات ، سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط4 ، 2004م ، ص35 .

21) النورسي ، الشعاعات ، ص 290.

22) أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ،مطبعة المكتبة العصرية ، بيروت ، 1992م

23) النورسي ، اللمعات ، ص12-13.

24) النورسي ، المكتوبات ، ص 400.

25) النورسي ، نفس المرجع ، ص401.

26) النورسي ، نفس المرجع ، ص402

27) النورسي ، المكتوبات، ص404.

28) النورسي ، نفس المرجع ، ص405 .

29) النورسي ، الكلمات ، ص841.

30) النورسي ، صيقل الإسلام ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، ط06 ، ج08 ، 2011م ، ص 338.

31) النورسي ، المكتوبات ، ص598.